الرؤية الإلكترونية لوجوهة للرسومات الجدارية في المجتمعات النوبية بمصر

دراسة ميدانية في الإلكترونيات لوجوهة الثقافة

إعداد

عبد الحكيم حامد عبد الجيد وجمدي أبو بكر

ملخص البحث:

للرسومات الجدارية داخل المجتمع النوبي دلالات أنثروبولوجية هامة و عادات وتقاليد مرتبطة بها. سعت الدراسة الراهنة للتعرف على هذه الدلالات والتعرف على التغيرات التي طرأت على هذه الزخارف. كذلك التعرف على العادات والتقاليد المرتبطة بها والتغيرات التي طرأت على هذه العادات والتقاليد.
الكلمات الدالة(- الرسومات الجدارية - المجتمع النوبي)

Abstract

The decorations and murals in the Nubian society provide remarkable anthropological indications and refer to customs and traditions associated with it. The current study seeks to identify these indications and to find out the changes that occurred to these motifs.

Key words

Motifs – Murals – Nubian Society

المقدمة:

الرسومات الجدارية، أول لغة بصرية عرفها الإنسان ووجد فيها ذاته، ومن أقدم أشكال الفن البشري، وكانت وسيلة الإنسان البدائي لإعتقاده بقدرتها على حمايته ودفع الشرور عنه، لقد رسم الإنسان الأول قبل أن يعرف الكتابة، فكان يوثق بها معتقداته وطقوسه ونشاطه، وكانت الرسومات الجدارية عند المصري القديم توصل فكرة الدين وتقريبه إلى الأذهان، وخلق جو روحاني يساعد في أداء العبادات، كما إنتشرت الرسومات الجدارية في العديد من الحضارات والعصور المتعاقبة من المصرية القديمة اليونانية والرومانية والبيزنطية و الغوطية والإسلامية وصولاً إلى عصرنا الحالي و المعروفة بمصطلح الجرافيتي. وفي التراث النوبي تعتبر الرسومات الجدارية من أهم عناصرها ومكوناتها، إلا أن في عصر العولمة وفي ظل التقدم الحضاري وعصر الشبكة المعلوماتية فقد بدأت الفنون النوبية بالتأثر والتخلي عن بعض من جوانبها.. فيحدثُ الإتصال الثقافي تارة، وتحدث الصدمة الثقافية تارة، ويحدث الإحلال الثقافي تارةً أخرى ، وهنا تكمن الخطورة ويطلقُ الباحث ناقوس الخطر فقد بدأت الحضارات الغربية والحديثة في التسلّل إلى عمق الحضارة النوبية وذلك نتيجة أسباب عديدة . ولعل من أوضح الشواهد على ذلك وما يستطيع أي متابع لأحد أكثر عناصر الحضارة النوبية وضوحاً وهي الرسومات الجدارية والتي كانت تزين قديماً كل البيوت النوبية وكان من أول إهتمامات النوبي القديم، تزيين واجهات البيوت، لما تحمله من دلالات خاصة، وذات أبعاد أنثروبولوجية، فلم تعد الآن كل البيوت النوبية تُزين بهذه الأعمال. وتداخلت وحدات زخرفية جديدة في الوحدات الزخرفية الأصلية والتي كانت تحمل دلالات خاصة بالمجتمع النوبي القديم، وكانت تعكس مفاهيم ترتبط بثقافته وتقاليده. كذلك بدأت الخامات المستخدمة في التغير، حيث كانت الخامات القديمة تحمل ثقافة المجتمع، حتى المنفذين لهذه

الزخارف أصبحوا من غير المجتمع النبوي مما يعكس بُعد
اجتماعي قد يؤدي الى قلة الإرتباط والإنتماء للمجتمع النبوي. وكذلك أضاف
بُعد إقتصادي لهذه الظاهرة. وآليات تنفيذ الزخارف التي تسالت
إليها طرق حديثة، وتخلت عن روح الجماعة وروح التراث الإنساني
النبوي القديم، وإبتعدت عن النكهة الخاصة بالعمل اليدوي
التقائي. ويقف هذا البحث حامل رسالة تنبئية إلى المجتمع النبوي
بصفة خاصة، وإلى المجتمع الثقافي والمجتمع الدولي المهتم بالحفاظ
على التراث بصفة عامة.

موضوع الدراسة:

يتمثل موضوع الدراسة في محاولة رصد معظم العادات والدلالات المتعلقة
بالزخرفة والرسومات لجدارية لدي النوبيين، حيث تعرضت الكثير من العناصر
الثقافية في منطقة النوبة للعديد من التغيرات والتطورات نتيجة لتعرض المجتمع
لعدد من العوامل المؤثرة التي ساعدت إلى حدوث تلك التغيرات الثقافية، والتي من
أبرزها الإتصال الثقافي نتيجة الإنتقال إلى بيئة أخرى تختلف عن البيئة الأصلية
التي كانوا يعيشون فيها، ونظراً لتلك التغيرات فكان من الضروري العمل على
رصد وجمع وتسجيل أهم العناصر الثقافية الخاصة بالزخارف والأشكال الجدارية
بهدف حفظها من خطر الإندثار أو الإختفاء في المستقبل، و إلقاء الضوء على
الدور البارز الذي كانت تلعبه البيئة الإيكولوجية في الممارسات الثقافية.

أهمية الدراسة:

أ- الأهمية العلمية:

١- أهمية الزخارف والأشكال الجدارية ودلالاتها الثقافية والأنثروبولوجية
المختلفة.

٢- محاولة إضافة للدراسات الأنثروبولوجية في إطار الموضوعات الثقافية و
التي تهتم بدراسة العادات والتقاليد الشعبية، وتعد عادات الزخرفة
والرسومات الجدارية واحدة من هذه الموضوعات.

ب- الأهمية التطبيقية:

تتمثل الأهمية التطبيقية للدراسة الراهنة في أن الزخارف النوبية المتمثلة في الجداريات تعتبر من عوامل الجذب السياحي لمنطقة النوبة والتي تؤدي إلي زيادة الدخل من خلال النشاط الإقتصادي القائم علي السياحة.

أهداف الدراسة:

تسعي هذه الدراسة إلي تحقيق مجموعة من الأهداف، وهي كالتالي:-

- ١- التعرف على إيكولوجية مجتمع الدراسة.
- ٢- التعرف على الوحدات الزخرفية النوبية التقليدية ودلالاتها الأنثروبولوجية.
- ٣- إلقاء الضوء على العادات المرتبطة بثقافة الزخرفة لدى النوبيين وخاصة الأشكال الجدارية.
- ٤- التعرف على التغيرات التي طرأت على العادات والدلالات الخاصة بالزخرفة والأشكال الجدارية لدى النوبيين وأسباب ذلك التغير.

تساؤلات الدراسة:

- ١- ما هي إيكولوجية مجتمع الدراسة؟
- ٢- ما هي الوحدات الزخرفية النوبية التقليدية ودلالاتها؟
- ٣- ما هي الطقوس والعادات المرتبطة بثقافة الزخرفة والرسم على الجدران لدى النوبيين؟
- ٤- ما هي التغيرات التي طرأت على الطقوس و العادات الخاصة بالزخرفة والرسم على الجدران لدى النوبيين؟

مفاهيم الدراسة:

- ١- مفهوم الرؤية تعرف الرؤية بأنها وجهة نظر شخصية ترتبط بالخلفية العلمية والثقافية والتنشئة الإجتماعية لدى الفرد وهناك كثير من الملاحظات والنظريات ووجهات النظر الحديثة التي إختلفت حول تحديد مفهوم موحد لمعنى الرؤية الذى لم يحدد غايته بدقة ولذا يضل المختص والجاهل سبيلهما إلى هذا الفكر، والقيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

ويسعى المرء من ثم إلى رؤية خاصة على كل علامة،^(١) فهناك من يؤكد وظيفة دلالية تؤديها الألوان من خلال الرؤيا في شعارات النسب وأيضاً في تداخلها في كثير من الأمور الحياتية، والجدير بالمثال ما تؤديه الألوان من هذه الدلالات مثل :

- اللون الأزرق وبما يمثله من دلالة لمنع العين الشريرة، والحسد.

- اللون الأخضر ودلالته السلام.

- اللون الأصفر وما تعكسه من وظائف في الأحجار الكريمة.

- وثمة ما يشير أيضا إلى القيمة الدلالية، لعلامة ما نبعث عبرها برسالة وندخل على ذلك في إتصال مع الآخر.^(٢)

التعريف الإجرائي:

ويمكن تعريف الرؤية إجرائياً للدراسة الراهنة بأنها " رؤية العلامات والرموز التي تضمنتها الرسوم الجدارية في الثقافة النوبية رؤية أنثروبولوجية وصفية تحليلية "

٢- **مفهوم الرسومات الجدارية:** الرسومات الجدارية هي تلك الرسومات الموجودة على حائط البيوت سواء الداخلية أو الخارجية، وهي تعكس التراث البشري، وأهم ما يميز هذه الزخارف الطبيعة الساكنة أي أنها ثابتة في مكانها ولم تنتقل من مكان إلى آخر نظراً لطبيعة الأماكن التي طبقت عليها الزخارف سواء كانت داخل البيوت أو خارجها، ويعتبر فن الزخارف الجدارية مرحلة تطور فني و ثقافي فهو من أكثر

¹) François Rastier et Carine Duteil-Mougel (2009):(Sémiotique des cultures), Vocabulaire des études sémiotiques et sémiologiques, sous la direction de Driss Ablali et de Dominique Ducard, P.U.F, Paris, Besançon, p : 89

²) parsons Talcott (1973)‘ le systems des societies moderns‘ trade milliard danced‘ Paris‘ p 88

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

العناصر الحضارية جمالاً منذ فترات ما قبل التاريخ، كما إنها تدل على شدة إنتباه وملاحظة لهذا الإنسان، حيث مثل تلك المشاهد بأدق تفاصيلها بصورة فنية رائعة، وتمتلك بلاد النوبة (مجتمع البحث) مواقع عديدة لهذا الفن، وستتعرف من خلال الزخارف على فترات تاريخية مختلفة، والظروف المناخية التي مرت بها تلك المنطقة وأنواع الحيوانات التي إستقرت بهذه المناطق، والنباتات التي كانت تنمو فيها، وعادات وتقاليد المجتمع النوبي، وكيف عكست هذه الرسومات طرق تكيف الإنسان مع مختلف الظروف.(١)

التعريف الإجرائي:

ويمكن تعريف مفهوم الرسومات الجدارية إجرائياً للدراسة الراهنة بأنها" الفن التشكيلي للفنان النوبي والتي عبر به عن الجوانب الحياتية للنوبي من خلالها رسمها علي الحوائط والجدران الخاصة بالمنازل النوبية".

التوجه النظري للدراسة:

النظرية التفاعلية الرمزية

النظرية الإيكولوجية

مناهج الدراسة:

١- المنهج الأنثروبولوجي

٢- المنهج التاريخي

٣- المنهج المقارن

مجالات الدراسة:

المجال الزمني :- إستغرقت الدراسة الميدانية ستة أشهر على فترات متقطعة.

المجال المكاني :- تمثل القرى النوبية في مصر مجالاً لتطبيق الدراسة.

المجال البشري:- يتمثل المجال البشري في هذه الدراسة التي أجريت علي مجتمع

النوبيين في مصر حيث تم إجراء العديد من المقابلات مع الإخباريين الذين أسهموا

¹) Alpers, Svetlana (1984) The Art of Describing: Dutch Art in the Seventeenth Century. Chicago, IL: University of Chicago Press, p 532.

بالمعلومات بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث بلغت المقابلات ثلاثون مقابلة مع الإخباريين المصريين. الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى للباحثة نرمين محمود محمد والتي جاءت بعنوان " لوحات جدارية مستوحاه من أصالة شرقية عريقة" دراسة تطبيقية^(١) والتي هدفت إلي الإهتمام بالتعبير عن البنية الأساسية للعمل الجداري، ووضع رؤية فنية حديثة للوحات جدارية مستوحاه من لوحات الفنانين المستشرقين القديمة، حيث إعتمدت علي المنهج الوصفي التحليلي ومنهج تحليل المضمون في تحقيق ذلك الهدف، وقد توصلت إلي مجموعة من النتائج أهمها أن الفن التشكيلي الذي أمتازت به تلك اللوحات ذات الطابع الشرقي الأصيل شجع الفنان أن يستلهم من هذا التراث ويستوحي من خصائصه الجمالية والفنية أعمالاً ليست بعيدة عن أصالة الماضي ولا غريبة عن روح العصر، وهذه المحاولات كانت متفقة علي جوهر التوجه وقيمة الهدف القائم علي الإستفادة من الماضي والتعامل مع الحاضر بشرط ألا نطمس الأول ولا نضيع الثاني، وأيضاً يمكن الإستفادة بقدر كبير من الإمكانيات التقنية الحديثة التي توصل إليها العقل البشري و إبتكرها الفكر الإنساني وذلك من خلال توظيف تلك القدرات في إنتاج أعمال إبداعية معبرة عن روح هذا العصر.

الدراسة الثانية للباحثة هبة عبدالنواب محمد والتي جاءت بعنوان " القيم التشكيلية والتعبيرية للرموز السحرية في الفنون الشعبية كمدخل لإستحداث مشغولات فنية".^(٢) والتي هدفت إلي الكشف عن القيم التشكيلية والتعبيرية للرموز السحرية في الفنون الشعبية، والوصول إلي صياغات تشكيلية جديدة للمشغولات الفنية بالإستفادة من تناول الرموز السحرية، وقد إعتمدت علي المنهج التجريبي والمنهج

^(١) نرمين محمود محمد (٢٠٢٠) لوحات جدارية مستوحاه من أصالة شرقية عريقة" دراسة تطبيقية : مجلة كلية الفنون والتصميم، جامعة فاروس ، الإسكندرية

^(٢) هبة عبدالنواب محمد (٢٠٢٠) القيم التشكيلية والتعبيرية للرموز السحرية في الفنون الشعبية كمدخل لإستحداث مشغولات فنية، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الأول ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

الوصفي التحليلي وإعتمدت علي مدخل القيمة التشكيلية والتعبيرية للرموز السحرية ومدخل الموضوعات الفنية والاجتماعية، وقد توصلت الدراسة إلي عدد من النتائج أهمها أنها أكدت علي دراسة الرموز السحرية كمصدر أساسي من مصادر الرؤية الفنية، حيث تبين أن الإستلهاً من الرموز السحرية بمثابة إعادة صياغة لهذه الرموز مما يعود بالفائدة علي الفنان والدارس للفن فيعتبر هنا الإستلهاً حافزاً للتجريب والإستخدام الغير محدود للحواس.

الدراسة الثالثة للباحثة أسماء الدسوقي أمين والتي جاءت بعنوان إشكالية مفهوم ثنائية الروح والجسد بين البعد النفسي والتشكيل البصري في فن الرسم.(١) والتي هدفت إلي التعرف علي الأبعاد النفسية من خلال العلاقة بين الإدراك النفسي والواقع المادي في فن الرسم لتعزيز مفاهيم ثنائية الروح والجسد، وتحديد قيم التشكيل البصري كقيمة جمالية من خلال مفاهيم العلاقة بين الروح والجسد ومدى تأثيرها علي فن الرسم، وقد إعتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي التحليلي ومنهج تحليل المحتوى، وتوصلت الدراسة إلي عدد من النتائج أهمها أن البعد النفسي له دور كبير في فن الرسم لتعزيز مفاهيم العلاقة بين الروح والجسد وذلك من خلال الإدراك الحسي الذي هو فعل من أفعال الوعي تميز بأنه يقصد موضوعات بذاتها أو يجسمها أمام الوعي، وهي تظهر له علي التتابع من خلال منظورات جانبية وهو يختلف عن التخيل الذي هو وعي يقصد موضوعه بوصفه غائباً، وأيضاً من النتائج نجد أنه تم تحديد قيم التشكيل البصري كقيمة جمالية من خلال الجسد الذي يرسم هوية الإنسان ويعطيه صورة ويحدد ماهيته.

الدراسة الرابعة للباحثة أسماء الدسوقي أمين والتي جاءت بعنوان "سيميولوجيا الوجه الإنساني داخل الصورة البصرية بين التعبيرية والتراكمية الذهنية في فن

(١) أسماء الدسوقي أمين (٢٠٢٠) إشكالية مفهوم ثنائية الروح والجسد بين البعد النفسي والتشكيل البصري في فن الرسم، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الأول ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان

الرسم.(١) والتي هدفت إلى التعرف علي أي مدي تؤثر الدلالات السيميائية علي الوجه الإنساني في فن الرسم لتعزيز العلاقة التعبيرية والتراكمية الذهنية، وتحديد جماليات الصورة الشخصية كقيمة جمالية من خلال الدلالات التعبيرية التراكمية الذهنية في فن الرسم، وقد إعتمدت علي المنهج الوصفي التحليلي ومنهج تحليل المحتوي، وقد توصلت لعدد من النتائج أهمها أن الموروث الثقافي لعب دوراً كبيراً في فن الرسم، وتحديد جماليات الصورة الشخصية كقيمة جمالية من خلال الدلالات بين المفاهيمية والتراكمية الذهنية في فن الرسم.

الدراسة الخامسة للباحثة عبير عباس فايز والتي جاءت بعنوان " الدلالات الرمزية للعنصر في الفن المصري المعاصر كمدخل لإثراء التصميم الزخرفي.(٢) والتي هدفت إلى إستلهاهم الرموز كمصدر تشكيلي في مجالات التصميم الزخرفي حيث أن هناك إمكانية للتعبير الجمالي، وإثراء القيم التعبيرية والجمالية للتصميم الزخرفي من خلال الإفادة من الأبعاد الجمالية للرمز في تصميم العمل الفني، وإعتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهدافها، وقد توصلت إلى نتائج منها أن الإبداع الفني الحقيقي يرتكز علي إبداع صور أو أشكال جديدة تعبر عن أوضاع ومضامين جديدة، يمنحنا الفن التشكيلي الكثير من المفردات والوسائل التي تجعل من إستعارة الرمز وسيلة غنية تدفعنا لدراسة مكونات اللوحة بمختلف عناصرها التشكيلية وما تتيحه لنا من أسرار اللغة البصرية التعبيرية.

^١ (أسماء الدسوقي أمين (٢٠٢١) سيميولوجيا الوجه الإنساني داخل الصورة البصرية بين التعبيرية والتراكمية الذهنية في فن الرسم، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الثاني ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان

^٢ (عبير عباس فايز (٢٠٢١) " الدلالات الرمزية للعنصر في الفن المصري المعاصر كمدخل لإثراء التصميم الزخرفي: مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الثاني ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان

مجتمع الدراسة:

تقع منطقة النوبة المصرية أو بلاد النوبة كما أطلق عليها القدماء المصريين منذ الآلاف السنين لتلازم نهر النيل في رحلته الأبدية مخترقا هذا الجزء من الصحراء الإفريقية، ويبلغ طول النوبة الغارقة في مصر ٣٥٠ كم وكانت تضم ٤٠ قرية فكانت منطقة الكنوز بطول ١٧٥ كم ويضم ١٧ قرية، وطول منطقة العرب ٣٨ كم ويضم ٥ قري، ومنطقة الفاديجا ١٣٧ كم ويضم ١٨ قرية.^(١)

المحور الأول:- ثقافة الزخرفة لدى النوبيين:

الثقافة البصرية تعكس توظيف مفردات اللغة التشكيلية للصورة البصرية في نسق ذو دلالة بصرية، لإيجاد نظم وصيغ جديدة في الرؤية الفنية تعمل على إزاحة الفجوة بين الذهن والواقع، أي بين ما هو مدرك من أشكال ذات دلالة بصرية وبين ما يدرك بدلالة مصاحبة أو إيحائية، ففي بعض التناول والحلول التشكيلية للموروث بشكله الواقعي وليس الحسي، يفقد معاصرة فكرة ودلالاته البصرية الحسية، حيث إيجاد الصورة الذهنية للشكل محل الشيء في الواقع المرئي بإعتباره عنصر إستلهم له مفردات شديدة الخصوصية مستمدة من الموروث الثقافي، وإعادة صياغتها في أنساق جديدة عن طريق ممارسة التفكير البصري لإيجاد هيئة الشكل المعاصر في عملية تكوين الصور البصرية في فن الرسم.^(٢)

تعتبر الرموز من أهم خصائص الأسلوب الفني، فالفنان يعتمد عليها في نقل أفكاره والتعبير عن أحاسيسه وأحاسيس أهل بيئته وإنفعالاتهم ومعتقداتهم وأفكارهم، حيث نجد أن الرمز بطبيعته يقبل التراكم الثقافي وينمو على مر العصور إلى جانب أن الرمز في طبيعته الجمالية يقبل التفاعل مع التطور الحضاري الثقافي، ولذلك فإن

^(١) محمد ابو شنب(٢٠١٩) العناصر الشعبية المرتبطة بعادات دورة الحياة عند النوبيين ، مؤسسة الدليل الثقافي للنشر ، القاهرة ، ص٧٩

^(٢) أسماء الدسوقي أمين (٢٠٢٢) الشكل المعماري كمفردة في بناء التكوين للصورة البصرية في فن الرسم المعاصر: مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، جامعة حلوان، المجلد ٢٢، العدد الثالث، ص ١٥

إبتداع رمز جديد لا يقضي على ما كان قبله ولا يصبح مهجوراً " الرمز القديم" وإنما يحتفظ بقيمته بإعتباره حالة تشكيلية عبرت عن الدوافع الإنفعالية والخيالية والثقافية والاجتماعية.(١)

فالحضارة النوبية حضارة عريقة بها الكثير من الأنساق والأنماط الثقافية الخاصة بها، ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على بقاء الحضارة النوبية إلى الآن هو تميزها على مختلف الجوانب الثقافية المادية واللامادية، فقد تميز النوبيين في المسكن والملبس والأطعمة والموسيقى والغناء والصناعات المرتبطة بالبيئة والتجارة والعادات والمعتقدات ذات الخصوصية المتفردة، وغير ذلك في كثير من عناصر الثقافة، وقد إهتم الباحث هنا بأحد هذه العناصر وهي الزخارف والأشكال الجدارية لما لها من خصوصية في الوحدات الزخرفية والتي لها دلالاتها الخاصة وتحمل مفاهيم تدل على تميز الحضارة النوبية كما تدل على إرتباط النوبى بمجتمعه وتأثره بايكولوجيا المجتمع لما لها من تأثير واضح على مثل هذه الرموز وما لها من إرتباط بالعادات والتقاليد مجتمع الدراسة، وكذلك البعد التاريخي لهذه الزخارف نظرا لتأثر الثقافة النوبية بالعديد من الحضارات الإنسانية المتعاقبة، نلاحظ إهتمام النوبى بالنظافة بشكل عام وبالتجميل عن طريق الزخارف والرسومات الجدارية بشكل خاص، حيث لا يكاد يخلو بيت من البيوت النوبية من الزخارف سواء على الجدران الخارجية للمنزل أو الحوائط الداخلية، حيث تجد القرية النوبية من على بعد وكأنها لوحة فنية متناغمة.

أولاً:- الزخارف المرتبطة ببناء البيت الجديد:

وتقوم نساء المنزل وصديقات العروسة ونساء القرية من الأقارب والجيران بتنظيف الحوائط الداخلية وواجهات البيت من الخارج وعمل دهانات له من اللون الأبيض في بعض الأحيان. وبعض الأحيان تثنى إرتفاع المبنى من أعلى والثلاث السفلى إما

(١) أيه عادل ذكي(٢٠٢٢) أثر الدلالات الرمزية لزخارف منسوجات بدو سيناء كمدخل لإثراء العمل الفني النسجي: مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، جامعة حلوان، المجلد ٢٢، العدد الأول، ص١٤٩

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

باللون الأزرق الفاتح أو الأحمر الفاتح، ويتم تحضير اللون الأزرق والأحمر من الأكاسيد الطبيعية الموجودة بالبيئة، ويكون الدهان من الجير الأبيض وفى قليل من الأحيان يقوموا بدهان البيت كله باللون الأزرق الفاتح والجزء السفلى بالأحمر وقليلاً ما يتم دهان البيت كله باللون الأزرق الفاتح فقط، وكانوا قديماً يستخدموا طمى النيل المائل للسيولة بعد إضافة التبن وقليل من روث البهائم ليكون كمادة لأصقة، و يستخدموا الأقمشة فى الدهان ثم بعد ذلك إستخدموا الفرشاة المصنوعة من ليف النخيل، ثم بعد ذلك أصبحوا يستخدموا ماكينة رش الجير، والإعتماد على عمالة من خارج القرية. ثم يقوموا برسم الزخارف النوبية لتجميل الواجهات بألوان زاهية، وكانوا فى أول الأمر حينما كانوا يستخدموا طمى النيل كانت الزخارف باللون الأبيض، لأن لون طمى النيل بعد خلطة ببعض الأكاسيد (الأحمر) غالباً يكون لون البيت بنى مائل للإحمرار، ويقوما بلمسق الأطباق المصنعة من الخزف داخل طبقة البياض التى تكسو حوائط البيت من الخارج، وكانت هذه الطبقة للحماية من عوامل البيئة و من حرارة الشمس فى فصل الصيف الرياح و البرودة فى فصل الشتاء.

ثانياً:- الزخارف المرتبطة بالزواج:

للزواج عند النوبيين عادات وتقاليد وطقوس خاصة جداً حيث تقوم السيدات الكبار فى السن بالتنظيف والفتيات يذهبن إلي النيل لجلب المياه لزوم شغل البيت وملء الأزيار.

عادات يوم عقد القران والزفاف ويعد هذا المرسم من أهم مراسم الفرح

ثالثاً:- الزخارف المرتبطة بالميلاد:

بمجرد معرفة قدوم مولود جديد بالعائلة، تقوم سيدات البيت والأقارب والجيران بتجهيز غرفة جديدة للمولود ودهان الغرفة و عمل بعض الزخارف البسيطة بجميع حوائط الغرفة، وإذا كان البيت صغير ولا يوجد مكان لغرفة مخصصة للمولود الجديد فتقوم نساء البيت مع الأقارب والجيران بدهان غرفة العرس بألوان جديدة وعمل زخارف بالغرفة.

رابعاً:- الزخارف والأشكال المرتبطة بالمناسبات الدينية والأعياد:

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

• مناسبة المولد النبوي الشريف: من أشهر الزخارف والتي يقوموا برسمها على الجدران المراجيح فى دلالة على المراجيح الموجودة بساحات المولد وتعتبر وحدة زخرفية حديثة على المجتمع النوبى نتيجة الإحتكاك الثقافى بالمجتمعات المختلفة.

• فى مناسبة شهر رمضان: فى معظم الشوارع والمعلق عليها أشكال مختلفة من الورق الملون من وحدات مميزة مثل الفانوس الخاص بشهر رمضان و شكل النجمة وشكل الهلال، كذلك إلى جانب الزخارف التى يقوموا برسمها على الجدران الخارجية للبيوت، من أهمها رسم الهلال دلالة على هلال شهر رمضان ورسم الفانوس ويعتبر وحدة زخرفية حديثة فى دلالة على فانوس رمضان، ودلالة على تأثر الزخارف النوبية بثقافة المجتمع الجديد.

فى مناسبة العيدين:

عيد الأضحى: بعد إعادة طلاء الواجهة الرئيسية للمنزل تقوم السيدات بعمل زخارف بسيطة من أهما الطبق النوبى فى دلالة على الكرم، ويؤكد علي ذلك أحد الإخباريين أنهم يقومون بعد الصلاة بذبح الذبائح ويقوموا بوضع أيديهم فى دماء الذبائح وطباعتها على الجدران الخارجية للبيت.

المحور الثانى:-أهم الوحدات الزخرفية التى تشتهر بها المنطقة:

التمثيل الرمزي إتجاه فنى عرفه الفنان المصري منذ عصور ما قبل التاريخ والذى إهتدى به إلى رموز وعلامات اللغة المصرية القديمة والتي إكتملت فى العصور التاريخية، فمنذ بدايات فن الرسم والتصوير كانت الكلمة قرينة الصورة، فكانت هذه الكتابة تعتمد بشكل أساسى على الصور أو الأشكال المرسومة كوسيلة للوصول للنص المكتوب أو بمعنى أدق التعبير بالرمز عن الكلمة ، حيث تمثل كل علامة هيروغليفية شيئاً واقعياً له وجود فعلى فى الحياة اليومية المصرية القديمة مثل النباتات وأجزاء الجسد والأشكال الهندسية والطيور، ومن أهم أنواع الرموز أو

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

العلامات هي الصور والتي كان يطلق عليها " لوجوجرامات" أى الحروف أو الرموز أو العلامات التي تمثل كلمة وتقرأ كصورة مرئية لأشياء محددة.^(١) لدى النوبي دائماً رغبة ملحّة في التشبه بأسلافه القدماء في الزخرفة وتحليّة البيت بالحلى، وكذلك لديه شغف بالألوان المتباينة الجذابة. وفي إمتداد للزخارف والشكال الجدارية للمعبد الفرعونية والتي إكتست جدرانها بأشكال وزخارف لحياة المصرى القديم بإستخدام وحدات متكررة للأشكال الهندسية. وللمرأة النوبية دور هام ومحورى فى زخرفة البيت النوبى حيث إستغلت بيئتها وأتقنت تزيين بيتها بإستخدام الأكاسيد الطبيعية المتوفرة حولها، وعملت على تنويع زخارفها وزينتها بخطوط بسيطة وغاية فى الدقة. ونعرض هنا البعض من أهم الوحدات الزخرفية التى إشتهر بها مجتمع الدراسة.

١- **النيل:** ويعتبر من أهم الوحدات الزخرفية التى يشتهر بها مجتمع الدراسة نظرا لإرتباط النوبى بالنيل حيث أنه يمثل الحياة نفسها، ويكون رسم النيل بخطوط حادة بشكل منتظم ومتكرر، أو بخطوط لينة متناغمة. وبشكل منتظم ومتكرر فى تبسيط لشكل أمواج النيل المتتابعة بهدوء على ضفافه.

٢- **النخلة:** وتستخدم النخلة كوحدة زخرفية أساسية فى الزخارف النوبية وترسم بشكل مبسط لساق النخلة وتعرج على جانبية ويرسم زعف النخلة بأوراقه شبه الشوكية أعلى الساق المتعرج بشكل تحليلى مبسط لشكل النخلة.

٣- **الصخور:** فى دلالة على طبيعة الأرض الصخرية التى تتميز بها معظم القرى النوبية، حيث كانت البلاد النوبية محاطة بالصخور والصحراء والمياه.

٤- **العقرب:** ويرسم بشكل مبسط ولكن رغم التبسيط فعندما تراه تعرف أنه العقرب ودلالاته الأنثروبولوجية لدى النوبين فى معتقد إنه يدرأ العين ويمنع الحسد.

٥- **السمك:** ويتم رسمه بطريقة مبسطة جداً ودلالته الأنثروبولوجية يرمز عند النوبيين إلى الخير الوفير.

¹ Ian Shaw & Paul Nicholson (2008): Rekhyt Bird, in: The British Museum Dictionary of Ancient Egypt, British Museum Press, p.244.

٦-التمساح : إستخدم النوبى التمساح كوحدة زخرفية هامة جداً ودلالاتها الانثروبولوجية ما يتمتع به التمساح من قوة فهو رمز للقوة والخصوبة ويعتقد النوبى فى أنه يطرد الأرواح الشريرة.

٧-المحار والاصداف : وتستخدم كرمز للأغنياء حيث كان يتم إستحضارها من خارج البلاد وما لها من أشكال وألوان متألأة مما تضى بهجة وجمال على واجهة البيت..-الأطباق الصينية: كانت تستخدم فى البيت النوبى القديم أطباق من الخزف ومطوية بطبقة من الجليز اللميع والألوان الزاهية ترتب فوق بعض فى تكرار بشكل بديع، ودلالاتها الأنثروبولوجية فهى ترمز إلى كرم الضيافة.

٨-المروحة: ترسم على واجهات البيت النوبى فى شكل هندسى رائع وكذلك يتم زخرفة الحوائط الداخلية للبيت وبالذات فى غرفة الضيوف لتعطى إحاء بالبرودة غير ألوانها الزاهية التى تضى شكل جمالى على المكان.

٩-من الأشكال الهندسية شكل المثلث: ولهذا الشكل الهندسى البسيط دلالات هائلة ويعتبر من الوحدات الزخرفية صاحبة الأسرار الغامضة فى العديد من الحضارات المتعاقبة، ففى الحضارة المصرية القديمة هو دلالة على الرسوخ والإتزان ويتم رسم المثلث الآن بالالوان الزاهية فيضى شكل جمالى على أى من الحوائط سواء الداخلية أو الخارجية، ويذهب بعض الإخباريين أن شكل المثلث نوع من التسبيح وتكرار شكل المثلث دلالة على إستمرار التسبيح. وأصبح شكل المثلث المعادل الرمذى للنوبة.

١٠-الدائرة: من الوحدات الزخرفية الهامة جدا فهى من الأشكال ثنائية الأبعاد وهى عبارة عن خط واحد متصل بشكل دائرى ودلالاتها فهى رمز للانهائية، وإستخدمها المصريون القدماء كرمز لقرص الشمس، وكذلك كرمز للقمر عند إكتماله، وإستخدمها النوبى كوحدة زخرفية أساسية فى تأثر واضح بالحضارة المصرية القديمة.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

١١-**النجمة:** من الوحدات الزخرفية المنتشرة فى تزيين الحوائط سواء الداخلية أو الخارجية وترسم من خمسة خطوط تلتقى فى نقطة واحدة هى المركز فى تكوين إشعاعى.

١٢-**الهلال:** ويرسم عن طريق تلاقى قوسين متداخلين أحدهما أكبر من الثانى ويلتقيا عند الطرفين. وأستخدمه النوبى كوحدة زخرفية فى تأثر واضح بالحضارة الإسلامية.

١٣-**الحيوانات والطيور فى الزخرفة النوبية:**

الجمل:- الدلالة الأنثروبولوجية لإستخدام الجمل كوحدة زخرفية وتوضح إرتباط مجتمع الدراسة بالبيئة و الجمل دلالة على الصبر والقوة وتأثر مجتمع الدراسة بالحضارة الإسلامية حيث كان الجمل وسيلة النقل للحجيج.

السباع: ويستخدم كوحدة زخرفية تعلقو باب البيت النوبى فى دلالة على القوة ودفع الشر عن أهل البيت وارهاب المتلصقين.

القط: ويستخدم القط كوحدة زخرفية سواء على الواجهات للبيت النوبى أو الحوائط الداخلية، ويأكد هذا الرمز تأثر الحضارة النوبية بالحضارة المصرية القديمة حيث كان للقط مكانة مقدسة فى الحضارة المصرية القديمة.

طائر أبو قردان: ويتم رسم طائر أبو قردان على الواجهات الخارجية والحوائط الداخلية بشكل تكرارى زخرفى يضيف شكل جمالى رائع ودلالاته الانثروبولوجية إرتباط مجتمع الدراسة بالبيئة ويعكس تأثير البيئة على المجتمع. كما يشير فى دلالة واضحة بتأثير الحضارة المصرية القديمة على الحضارة النوبية حيث كان لهذا الطائر مكانة هامة فى الحضارة المصرية القديمة وإستخدامه كوحدة زخرفية هامة لتزيين واجهات المعابد.

طائر الحمامة: ويستخدم كوحدة زخرفية هامة على الواجهات الخارجية والحوائط الداخلية فى شكل مبسط جميل، وترسم مرة بشكل متكرر ومرة بشكل متقابل، ودلالة الحمامة كوحدة زخرفية إرتباط المجتمع بالبيئة وهى دائما رمز السلام والمحبة والخير.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

القرون: وهي عبارة عن قرون لبعض حيوانات الموجودة بمجتمع الدراسة سواء الكباش أو الثيران في دلالة على تأثر المجتمع ببيئته وويستخدم هذا العنصر سواء بشكل زخرفي أو إستخدام القرون نفسها في دلالة على القوة و طرد الأرواح الشريرة وفي دلالة أيضا على تأثر الحضارة النوبية بالحضارة المصرية القديمة حيث كانت تستخدم هذه القرون كتاج على رأس الآله والملوك في دلالة على القوة وترهيب الأعداء.

البواخر: أو السفن من الأشكال الزخرفية الحديثة على الزخارف النوبية في دلالة على تأثر الزخارف النوبية بالحضارة الحديثة، وتستخدم هذه الزخرفة دائما في دلالة على سفر صاحب البيت للأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج.

الطائرة: أيضا من الوحدات الزخرفية الحديثة ولها نفس دلالة السفن وتشير غالبا بأن صاحب البيت قد أدى فريضة الحج بواسطة الطائرة.

المركب: وحدة زخرفية هامة جدا عند النوبي القديم حيث كانت معظم القرى النوبية عبارة عن مجموعة جزر وكان المركب وسيلة الإنتقال الهامة بين الجزر وبعضها. ويتم رسم المركب ببساطة شديدة جدا عبارة عن قوس في وضع أفقى ويغلق بخط أفقى أعلى القوس، ويرسم مرة المركب الشراعى ومرة المركب بدون الشراع ، ويسمى المركب الصغير بدون شراع في مجتمع الدراسة بالذهبية، ويؤكد إرتباط النوبى ببيئته المحيطة.

السجادة: وهى من الوحدات الزخرفية الحديثة أيضا ويتم رسمها أسفل الشبائيك على واجهة البيوت النوبية في دلالة على الضيافة والترحيب بالضيوف.

العين: وترسم عن طريق رسم قوسين ملتقيان بشكل أفقى وبداخلهما دائرة تعبر عن حدقة العين، وتعتبر العين وحدة زخرفية هامة جدا حيث توجد في العديد من واجهات البيوت النوبية والأزياء والأكسسوارات ومعتقد زخرفة العين دلالة على منع الحسد، كما إنها تعبر عن تأثر الزخارف النوبية بالحضارة المصرية القديمة. حيث كانت العين أيضا من أهم الوحدات الزخرفية على واجهات المعابد. والمعروفة بعين حورس.

الكف: ويتم رسمه شبه كف اليد كاملة وترسم الخمس أصابع مفتوحة فى تبسيط زخرفى عبقرى من خط واحد، ودلالته منع الحسد والعين الحاسدة وكف الأذى، و فى بعض الأحيان ترسم بداخله العين لتأكيد منع الحسد.

الطبق النوبى: من أهم الوحدات الزخرفية والتى إنتشر إستخدامها حديثا فى الزخارف النوبية على الواجهات الخارجية والحوائط الداخلية لما لها من تصميمات عديدة وجميلة وألوان زاهية مبهجة، فى البداية كان الطبق النوبى دلالة على الكرم وحسن الضيافة والآن يستخدم لما له من ألوان وشكل جمالى.

نتائج الدراسة

- ١- أوضحت الدراسة ايكولوجيا مجتمع الدراسة.
- ٢- أكدت الدراسة العلاقة بين الزخارف ودلالاتها الأنتروبولوجية.
- ٣- أكدت الدراسة العلاقة بين الأدوات المستخدمة لرسم الزخارف وأيكولوجيا مجتمع الدراسة.
- ٤- أكدت الدراسة العلاقة بين الزخارف والطقوس و العادات لمجتمع الدراسة.
- ٥- أوضحت الدراسة بعض التغيرات التى طرأت على الطقوس والعادات الخاصة بالزخارف والأشكال الجدارية لدى مجتمع الدراسة.

قائمة المراجع

- ١-إحسان محمد الحسن(٢٠٠٥) مناهج البحث الإجتماعي، دار وائل للنشر والتوزيع : القاهرة.
- ٢-أسماء الدسوقي أمين (٢٠٢٠) إشكالية مفهوم ثنائية الروح والجسد بين البعد النفسي والتشكيل البصري في فن الرسم، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الأول ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان
- ٣-أسماء الدسوقي أمين (٢٠٢١) سيميولوجيا الوجه الإنساني داخل الصورة البصرية بين التعبيرية والتراكمية الذهنية في فن الرسم، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الثاني ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان
- ٤-أشجان رمضان محمد (٢٠٢٢) إستدامة حيزات العمارة الداخلية في العمارة النوبية: مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الثالث ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان.
- ٥-أيوب إسماعيل أيوب (٢٠١١) النوبى والنهر ، دار عزة للنشر والتوزيع ، السودان
- ٦-برنار توسات (٢٠٠٠) ماهى السيميولوجيا : ترجمة محمد نظيف ، إفريقيا الشرق للنشر.
- ٧-حورية مصطفى (٢٠٠٧) تكيف البوشمن لبيئة مميزة "صحراء كلهاري"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة..
- ٨-سيد محمد عبدالله (١٩٧٤) من حياة وتراث النوبة ، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم.
- ٩-السيد عبد العاطي السيد (١٩٩٦) الإنسان والبيئة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية،
- ١٠-عبد الغني عماد(٢٠٠٦) سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلي العولمة: مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان.
- ١١-عبد المجيد العابد (٢٠٠٨) مباحث في السيميائيات : دار القرويين ، المغرب.
- ١٢-عبدالله حسين(٢٠١٢) السودان من التاريخ القديم إلى البعثة المصرية ، الجزء الأول ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

- ١٣- عبيدة صبطى ، نجيب بخوش (٢٠٠٩) مدخل إلى السيميولوجيا : دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر
- ١٤- عبير عباس فايز (٢٠٢١) " الدلالات الرمزية للعنصر في الفن المصري المعاصر كمدخل لإثراء التصميم الزخرفي: مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الثاني ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان
- ١٥- علي احمد قسم السيد. (١٩٩٠) تاريخ و جغرافيا بعض بلاد النوبة من خلال النقوش المصرية القديمة في عهد المملكتين القديمة و المتوسطة. ٦
- ١٦- غي روشيه(٢٠٠٢) مقدمة إلي علم الاجتماع العام (الفعل الاجتماعي): ترجمة مصطفى دندشليبيروت: مكتبة الفقيه، ج ٢- ط ٢.
- ١٧- فاطمة الزهراء (٢٠٢١) مصطلح السيميولوجيا وإشكالية الترجمة: مجلة الصوتيات ، العدد الثاني ، المجلد السابع عشر
- ١٨- فليب جونز(٢٠١٠) النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية : ترجمة محمد ياسر الخواجة، العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ١٩- مارسيلو داسكال(١٩٨٧) الإتجاهات السيميولوجية المعاصرة : ترجمة حميد لحمداني وأخرون ، دار أفريقيا للنشر ، المغرب
- ٢٠- محمد ابو شنب(٢٠١٩) العناصر الشعبية المرتبطة بعادات دورة الحياة عند النوبيين ، مؤسسة الدليل الثقافي للنشر ، القاهرة
- ٢١- محمد الجوهري(٢٠١٦) علم الفولكلور: الأسس النظرية والمنهجية.- المجلد الأول.- القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- ٢٢- محمد السرعيني (١٩٨٧) محاضرات في السيميولوجيا : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، المغرب.
- ٢٣- محمد عبد الكريم الحوراني(٢٠٠٧) النظرية المعاصرة في علم الاجتماع: التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الأردن.
- ٢٤- محمد عمر طه (٢٠١٧) دور الأشعار والأمثال فى الحفاظ على اللغة النوبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز يوسف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربى ، جامعة إفريقيا العالمية.

- ٢٥-محمود فهمى حجازي (١٩٦٨) المنهج التاريخي فى عالم المآثورات الشعبية،
الفنون الشعبية، س٢، ع٧٤.
- ٢٦-هبة عبدالنواب محمد (٢٠٢٠) القيم التشكيلية والتعبيرية للرموز السحرية في
الفنون الشعبية كمدخل لإستحداث مشغولات فنية، مجلة بحوث في التربية الفنية
والفنون ، المجلد (٢٢) العدد الأول ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان
- ٢٧-Alpers, Svetlana (1984) The Art of Describing: Dutch Art in
the Seventeenth Century. Chicago, IL: University of Chicago
Press,
- ٢٨-Emerling, Jae (2005) Theory for Art History. New York, NY:
Rutledge.
- ٢٩-François Rastier et Carine Duteil-Mougel (2009):(Sémiotique
des cultures), Vocabulaire des études sémiotiques et
sémiologiques, sous la direction de Driss Ablali et de Dominique
Ducard, P.U.F, Paris, Besançon,
- ٣٠-François Rastier et Carine Duteil-Mougel (2009):(Sémiotique
des cultures), Vocabulaire des études sémiotiques et
sémiologiques, sous la direction de Driss Ablali et de
Dominique Ducard, P.U.F, Paris, Besançon,
- ٣١-L.J. Prieto (1988): "La sémiologie", in "Encyclopédie de la
Pléiade", le Langage, Paris
- ٣٢-parsons Talcott (1973) ' le systems des societies moderns ' trade
milliard danced ' Paris ' p 88
- ٣٣-Robert Holton (2000) , Globalizations cultural consequences
In; American Acedemy of political and social sciences ,vol 570 .
- ٣٤-Via di san (2009), Traditional conservation practices in Africa,
Roma ,Italy.
- ٣٥-Warf. B (2006), Encyclopedia of Human Geography: London,
sage publications